



مركز البيدر للدراسات والتخطيط

Al-Baidar Center For Studies And Planning

ضرورة إيجاد الأدوات اللازمة لمواجهة الحرب الناعمة

«دور شبكات التواصل الاجتماعي في الدبلوماسية العامة»

بيروز غفراني

ترجمة وتحرير: مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكومية، وغير ربحية، تأسس سنة ٢٠١٥م، ومُسجل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

ويسعى المركز للمساهمة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسية التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام، ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويسعى المركز لدعم الإصلاحات الإقتصادية والتنمية المستدامة وتقديم المساعدة الفنية للقطاعين العام والخاص، كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص، والنهوض به لتوفير فرص عمل للمواطنين عن طريق التدريب والتأهيل لعدد من الشباب، بما يقلل من اعتمادهم على المؤسسة الحكومية، ويساهم في دعم اقتصاد البلد والارتقاء به.

ويسعى أيضاً للمساهمة في بناء الانسان، باعتباره ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني وتطبيق رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الإلتزام بمكارم الاخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، الإدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org

ضرورة إيجاد الأدوات اللازمة لمواجهة الحرب الناعمة «دور شبكات التواصل الاجتماعي في الدبلوماسية العامة»

بيروز غفراني*

مقدمة

تشير التطورات العالميّة، لا سيما في العقدين الأخيرين، إلى أنّ التقنيات الحديثة المعتمدة في الحرب الناعمة، وبكُلِّ واطئة جداً، لها فاعلية تفوق مئات الأضعاف، بل حتّى آلاف الأضعاف، كُلفَ التقنيات الحديثة المعتمدة في معدّات التسلّح. تستثمر القوى المهيمنة التقنيات الحديثة بأفضل طريقة ممكنة لتوجيه الرأي العام في المجتمعات التي تخاطبها. إذ إنّ التقنيات الإعلامية والإقناعية قادرة -عبر ممارسة الدعاية- على أن تخلق أزمةً في مجتمع أو منطقة ما، وأن تتسبب -على سبيل المثال- في ارتفاع مبيعات الأسلحة والمعدّات الدفاعية؛ أو أن تعرض صورةً لمنطقة أخرى بأنّها بحاجة للمواد الغذائية، ومن ثمّ توجّه الأفراد في تلك المنطقة نحو الأسواق والمحالّ التجارية ليقوموا بتخزين المواد الغذائية؛ أو أن تخلق صراعاً وحراباً بين مكوّنين أو عدّة مكوّنات في بلدٍ ما عبر الدعاية وإثارة عواطف المخاطبين.

إنّ تدفق وسائل الإعلام العالميّة قد خلق واقعاً يدفع الرأي العام إلى أن يوجّه لا شعورياً في أطرٍ محددة مسبقاً وفي ضوء معلومات وتفسيرات معيّنة. إنّ الحرب الإعلامية العالميّة قد خلقت صراعاً بين السرديات والروايات، وبنحو بات الأفراد في المجتمعات المختلفة يشاهدون العالم وسائر الشعوب من خلال العدسات التي صنعتها وسائل الإعلام العالميّة. توضّح الاختبارات والنتائج المستخلصة من المشاريع البحثية والأكاديمية كيف يمكن إيصال رواية وسردية خاصّة عن أيّ قصّة وحدثٍ معيّن وخلال فترة زمنية قصيرة جداً، إلى عددٍ كبيرٍ من المخاطبين ضمن سياقات وأجناسٍ تعبيرية مختلفة. تُبيّن هذه الدراسات كيفية توظيف الأدوات التقنية الحديثة وتقنيات الإقناع والعلوم الإدراكية لتوجيه الرأي العام العالمي أو الرأي العام في مجتمع محدد، وبنحو يكون المجتمع المخاطب تحت وابلٍ من الشواهد والأدلة والقضايا الجارية ضمن سياقات وأطرٍ متفاوتة، تجعله يتلقّى صورةً محددةً يظنّها هي الحقيقة.

* مدير القسم الدولي في مركز دراسات الخطاب الاستراتيجي، دبلوماسي إيراني متقاعد.

إنَّ ظهور تقنيات «الوسائط المتعددة» وأجهزة الهاتف النقال الذكيّة، قد أتاحت -من جانبٍ- إمكانيةً إنتاج المحتوى ونشره لأيّ فردٍ وفي أيّ زمان ومجال، ومن جانبٍ آخر أتاحت فرصةً للحصول على البيانات المرتبطة برغبات الأفراد المرتبطين بشبكات التواصل الاجتماعي ومعرفة وتقييم اتجاهاتهم وأذواقهم ومصالحهم واحتياجاتهم.

يُعنى هذا المقال بتوظيف هذه القدرات والإمكانات الحديثة في الدبلوماسية العامة لدى الدول، ويدعو إلى تسليط مزيدٍ من الأضواء على هذا الأمر المهم.

مكانة الدبلوماسية العامة

تعرف الموسوعة البريطانية الدبلوماسية العامة بأنها «مختلف الجهود التي ترعاها الحكومات، والتي تهدف إلى التواصل مباشرةً مع الجماهير الأجنبية. تشمل الدبلوماسية العامة جميع الجهود الرسمية لإقناع قطاعات مستهدفة من الرأي الأجنبي لدعم الأهداف الإستراتيجية للحكومة أو التسامح معها. وتشمل الأساليب تصريحاتٍ صانعي القرار، والحملات الهادفة التي تقوم بها المنظّمات الحكوميّة المكرّسة للدبلوماسية العامة، والجهود المبذولة لإقناع وسائل الإعلام الدوليّة بتصوير السياسات الرسميّة بشكلٍ إيجابيٍّ للجماهير الأجنبية». وفي حقيقة الأمر إنَّ طريقة عمل الدبلوماسية العامة وماهيتها الوجودية تتوخّى استقطاب المجتمعات التي تخاطبها دبلوماسية بلدٍ ما من أجل تنفيذ سياساتها وتحقيق أهدافها ومن دون توظيف الأدوات والسبل العسكرية وممارسة الضغط؛ بل على العكس، من خلال استعمال أدوات الإقناع وتوجيه الرأي العام في المجتمعات المستهدفة، وذلك من أجل تنفيذ سياسات البلد من خارج الحدود. ولذا فإنَّ الدبلوماسية العامة تتوخّى استقطاب المخاطبين المستهدفين، وقد تُعرف هذه العمليّة بأنها تحصل عبر «ربط الرسالة المناسبة بالمخاطب المستهدف المناسب وفي شكل مناسب». (UNDP, 2015) وفي هذا الإطار تُوجّه المجتمعات المستهدفة ضمن مسارٍ لم تُعدّ فيه مواكبةً لسياسات بلدها، ولم تُعدّ تدعم استراتيجية وبرامج حكوماتها، وبدلاً من ذلك توأكب استراتيجيات الدول الأجنبية، وتبدأ -عن غير وعي- بمساعدة الأطراف الأجنبية للحصول على أهدافها التي تسعى إليها في خارج حدودها.

من الواضح أنَّ هذه المواكبة والاستقطاب عمليّةٌ في منتهى الصعوبة والتعقيد، وتحتاج إلى توظيفٍ كاملٍ وشاملٍ لأدواتٍ كسب المعرفة للثقافات والروحيات والعُرف الحاكم على المجتمعات المستهدفة. إنَّ إنتاج المحتوى وتوزيعه المنسجم مع الأساليب التي تُقدر على توجيه المجتمع المخاطب

ليشاهد الأُمورَ عبر عيون البلد المَعني (الذي يمارس الدبلوماسية العامة)، إنما هي من أهم أوجه النجاح للدبلوماسية العامة في بلدٍ ما في مواجهة بلدٍ أو مجتمعٍ آخر.

دور التكنولوجيا وتقنيات الإقناع بوصفها أدواتٍ حديثة في الدبلوماسية العامة

تشير الدراسات إلى أن التكنولوجيا، ولاسيما تقنيات التواصل، تؤدي أدواراً مختلفة لإيجاد التحوّل والتغيير. تؤدي هذه التقنيات -بوصفها محرّكات التغيير في المجتمعات والتي تعمل على تمكينها- إلى ظهور أنماط حديثة من التلقّي والمواقف والسلوكيات والقيم الاجتماعية وأساليب الإدارة والحكومة.

إنّ التقنية بوصفها محرّكاً للتغيير تؤدي إلى تطوّر أنماط الحياة لدى الأفراد في مختلف المجتمعات، وتفرض على المجتمعات -بصورةٍ أو بأخرى- نمطاً من التغيير. ولا شك في أنّ التواصل ونوع التعامل بين الأفراد وأجهزة الإعلام والمؤسسات، وغيرها، يشهد اليوم تطوّرًا هائلاً بالمقارنة مع الفترة التي سبقت ظهور تقنيات التواصل الحديثة والأقمار الصناعية والانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، وأنّ هذا الأمر مرهون بتقدّم التكنولوجيا المساهمة في تطوّر المجتمعات.

فضلاً على ذلك تنطوي التقنيات الحديثة (بوصفها مساراً للتغيير) على مهادٍ للتطوّر والتغيير في المجتمعات. إذ إنّ شبكات التواصل الاجتماعي والأنماط المختلفة في التواصل، من قبيل إيجاد مجالات للتجارة الإلكترونية، وظهور شركات مختلفة ومؤسسات ناشطة في العالم الافتراضي التي خلقت آلاف الأنماط والمسارات للتعامل والتواصل بين المواطنين في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كلّ ذلك يُفصح عن أهمية دور التقنيات الحديثة في التواصل بوصفها مساراتٍ للتغيير.

بالإضافة إلى ذلك تؤدي تقنيات التواصل الحديثة دوراً رئيساً في تمكين وتعزيز التغيير، ففي هذه اللحظة بمقدور أيّ فرد، وفي أيّ زمان ومكان، أن يحصل على البيانات من أرجاء العالم، وأن يكون باحثاً متمكناً، وأن يختار من بين القراءات المختلفة للموضوعات، وأن يقارن بين طبيعة السرديات عن الأحداث، وأن يقيّمها ويختبر مصداقيتها. وقد تمكّن هذه التقنيات أيّ فرد وجماعةٍ من أن يقوموا برواية الأحداث والوقائع بأنفسهم، وأن ينتجوا المحتوى ويوزّعوه، وأن يعرضوا آراءهم ووجهات نظرهم على الآخرين ضمن إطارٍ كوني، ومن ثمّ يعثروا على الأفراد المنسجمين مع آرائهم

ووجهات نظرهم، أو أن يستقطبوا الموافقين معهم لتحقيق هدفٍ معيّن.

وقد أتاحت هذه التقنية إمكانية استغلال المناصب والمسؤوليات، إذ إنّ زوال خصوصية الأفراد وإمكانية ممارسة التجسس والتخريب في النشاطات التجارية والإدارية وخلق سرديات مزيفة من خلال استعمال الخدع السينمائية والمؤثرات الخاصة والتزييف العميق... وغيرها، كلّ ذلك يُعدُّ من المجالات التي تجعل التقنية أداةً خطيرةً بيد أيّ فردٍ مختصٍّ بها. ففي الوقت الراهن بإمكان أيّ شخصٍ متخصصٍ في هذه الأعمال أن يخترق بيانات مؤسسة أو بلدٍ ما ويدمر منظومة بياناتها، ويترك بذلك آثاراً أشدَّ خطورةً من الحروب التقليدية. ولذا تُعدُّ التقنيات الحديثة أدواتٍ للحرب الناعمة، وتؤدّي أدواراً رئيسةً للنظام المهيمن من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية وبأقلِّ قدرٍ من الكُلف.

بيد أن هذه التقنيات لم تقتصر على الحروب الناعمة، بل أصبحت ذات أهمية في الدبلوماسية العامة أيضاً. إذ تصفُ بعض الدراسات شبكات التواصل الاجتماعي بأنها المحرك المشغّل للتحركات الجماهيرية في مصر وتونس ومنطقة أوراسيا، وفي كثيرٍ من الثورات الناعمة. بيد أن مواكبة المجتمعات المستهدفة واستقطابها على المستوى العالمي، ومن أجل أن يكون العالم كلّهُ يتلقّى مفاهيمٍ مشابهةً حيال الظواهر والأحداث، كلُّ ذلك يحتاج إلى توظيف مؤثّرٍ لتقنيات الإقناع الجمعي. يمثّل الإقناع الجمعي إحدى الأدوات الحديثة لدى الدبلوماسية الاقتصادية التي تعتمد شبكات التواصل الاجتماعي في إطار تركيبٍ مع سائر أجهزة الإعلام. حيث أنّ الدمج بين التقنيات الحديثة ومعطيات العلوم الإدراكية والسلوكية أتاح إمكانية التأثير على الرأي العام وتوجيهه على نطاق واسع. ففي هذا الإطار الجديد أصبحت التقنيات الحديثة توظّف بوصفها المحرك الرئيس والمسار والأداة المعززة لعملية الإقناع الجمعي.

ولمعرفة السبل الناجعة لاستخدام تقنيات إنتاج وتوزيع المحتوى والتقنيات الإعلامية التي تعمل على توجيه الرأي العام، بادرت الجامعات العالمية المتقدمة إلى إنشاء مؤسسات ومختبرات متخصصة في الإعلام والإقناع؛ إذ يُعدُّ معهدُ ماساتشوستس للتكنولوجيا بإنشائه (مختبر وسائط الإعلام)، وكذلك جامعة ستانفورد بإنشائها مختبر الإقناع من ضمن هذه الجامعات، فهي تجرّي منذ ما يقارب عقدين من الزمان دراساتٍ وأبحاثاً في هذه المجالات و بإشراف المؤسسات المخبرية

١. التزييف العميق تقنية تقوم على صنع فيديوهات مزيفة عبر برامج الحاسوب من خلال تعلّم الذكاء الاصطناعي. تقوم هذه التقنية على محاولة دمج عددٍ من الصور ومقاطع الفيديو لشخصيةٍ ما من أجل إنتاج مقطع فيديو جديد - باستخدام تقنية التعلم الآلي - قد يبدو للوهلة الأولى أنه حقيقي لكنه في واقع الأمر مُزيّف.

الأمريكية. فعلى سبيل المثال تُجري جامعة ستانفورد مشروع الإقناع الجماعي بين الأفراد من خلال طريقة النشر الفيروسي للمحتوى^٢، بحيث يصل إلى ملايين المخاطبين والمشاهدين خلال بضعة أيام فقط، ويقنعهم حول موضوع معين، ومن ثمَّ يوجّه رأي المخاطب ويعززه ويغيّره، ويجري اختباراتٍ عليه. الملحظ المهم بهذا الصدد هو أنّ هذه النشاطات قد بدأت منذ ما يقارب عشرين عاماً، وهذا يعني أنّ المهارات الإقناعية والتقنيات والبرامج والعلوم المرتبطة قد توسّعت كثيراً بالمقارنة مع ما كانت عليه في السابق. وعلى حدّ تعبير الكاتب والباحث «يوفال هراري»^٣ في مؤتمر دافوس، أتاحت الآن إمكانية اختراق أذهان المخاطبين.

في الظروف الجديدة تواجه أذهانُ مخاطبي شبكات التواصل الاجتماعي كما هائلاً من المحتويات والمفاهيم المعدّة مسبقاً التي يجري توطينها للمجتمعات المختلفة وتصبح مألوفة لدى الأفراد من خلال الذكاء الاصطناعي وفي مختلف الأشكال والأنماط، وتتبلور في قوالب مختلفة كمقاطع الفيديو القصيرة والرسوم المتحركة والأخبار والأفلام الوثائقية وأفلام التعلّم المصغّر. على هذا الصعيد لا يقتصر دور الدبلوماسية العامة على استقطاب أفكار المخاطبين ورؤاهم، بل تستقطب قلوبهم ورغباتهم أيضاً إلى المحتويات والأفكار المعدّة سلفاً. وبالتالي لا يُرحّب بوجهات النظر النقدية التي توجه للموضوع المطروح، إذ يقوم الفرد تلقائياً بفلتره سائر القراءات والسرديات، ويرسل المحتوى -عن غير وعي- للآخرين. وبهذا يؤدي بنفسه دور الرسول في نشر الرسالة المعنوية. ومن اللافت للانتباه أنّ خلق الرسول الذي يقوم بإرسال المحتويات تلقائياً يُعدّ من أسمى الأهداف التي تتوخاها الرسالة الإقناعية.

نحن وشبكات التواصل الاجتماعي

على الرغم من أنّ النظام المهيمن في ظلّ تدفق وسائل الإعلام يمتلك كافة الأدوات اللازمة لترسيخ المفاهيم وتوظيف أكبر قدر ممكن من إمكانات شبكات التواصل الاجتماعي وأجهزة الإعلام الجماهيرية، فإنّ هذه الأدوات يمكن استخدامها من قبل الحكومات والهويات المستقلة أيضاً. وإنّ دبلوماسيةنا العامة بحاجة -أكثر من أيّ وقت مضى- إلى إنتاج ونشر المحتوى المؤثر

٢. المحتوى الفيروسي هو محتوى عبر الإنترنت، يحقق مستوى عالياً من المصادقية بسبب مشاركته على شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع والنشرات الإخبارية عبر البريد الإلكتروني ومحركات البحث. يمكن للمحتوى الفيروسي تقديم علامات تجارية للجمهور بسرعة كبيرة ولأنّها تحصل على أكبر عدد من الزيارات من خلال مشاركة الوسائط الاجتماعية، فهي رخيصة نسبياً مقارنة بالإعلانات المدفوعة.

3. Yuval Noah Harari.

والمناسب للمخاطبين. إنَّ هذا المحتوى المنشود يعتمدُ نَحْجاً مقوَّضاً وتحريراً، ويسبب في الوهلة الأولى خلافاً في عملية تكوين الرأي العام التي تقوم بها وسائط الإعلام العالمية، ويوضِّح لمخاطبه ما طبيعة الإشكالات والفراغات في هذا المنطق المعتمد، وفي سياق ذلك يساعد مخاطبه على اعتماد نظرة انتقادية ليحرر نفسه من سيطرة أجهزة الإعلام.

إنَّ الدبلوماسية العامة من شأنها أن تعمل على إنتاج ونشر المحتوى المناسب للمجتمعات المستهدفة، وأن تتعرَّف على الروحيات والعقائد التي يعتنقها المجتمع المستهدف؛ فمن خلال الكشف عن الأذى الإعلامي وعرض أسئلةٍ جادَّةٍ وعميقةٍ تتحدَّى بها العلاقة القائمة بين القضايا المعروضة في الإعلام والمفاهيم الإقناعية، ستستطيع أن تحفز أذهان المخاطبين للإجابة عن مثل هذه الأسئلة وتخلق الشكَّ في القضايا الخادعة.

إنَّ جشع النظام المهيمن وأطماعه في الإفادة بأكثرٍ قدرٍ ممكن من الصراعات المفتعلة بين المجتمعات والشعوب والبلدان قد أدَّى إلى أن تتوسَّع الرؤية النقدية والمتقصية للحقائق في هذا المجال. وفي الوقت نفسه يبدو أنه بسبب ضعفنا في إنتاج المحتوى المؤثر بكميات ضخمة تشمل جميع الشعوب، فقد يتحتم على دبلوماسيتنا العامة أن تعتمد إنتاج المحتوى النوعي بدلاً من الإنتاج بكميات هائلة وضخمة، وبنحو تكون دقيقة التصويب وتوظف التقنيات المؤثرة في إنتاج المحتوى الإقناعي ونشره المؤثر في الشبكات المناسبة، ومن ثمَّ تبطل مفعول الأدوار الرئيسة والمهمة التي يقوم بها الإعلام المعادي في خلق التيارات المضادة.

لعلَّ الإشارة إلى هذا الملحظ في نهاية المقال لا يخلو من تأثير، وهو أن العالم متعطِّشٌ لمفاهيم ورؤية جديدة، وإنَّ الرأي العام يعلم أنَّ الهجمة الإعلامية والكم الهائل من البيانات والتأويلات والتفسيرات قد أهلك الأذهان، ولكي يواجه هذا الأمر يبحث دوماً عن الحلول المنطقية الصحيحة. ويمكن القول باطمئنان إذا خصصنا واحداً من الألف من الأموال التي ننفقها لإنتاج التقنيات والمعدَّات الحربية، وأنفقناها على التقنيات الإقناعية والدبلوماسية العامة سنحصل على نتائج أفضل وأكثر فاعلية بألاف المرات.

الرابط: <https://tinyurl.com/yvwqgjzo>